

## التصوير البلاغي في أدب البشير الإبراهيمي

Rhetorical depiction in the literature of Al-Bashir Al-Ibrahimi

د. عبد المجيد قديدح

جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريش (الجزائر)

تاريخ القبول: 2020/03/15

تاريخ الإرسال: 2020/02/28

## ملخص:

تعدّ اللغة العربيّة من أهمّ اللّغات الحيّة التي تزخر بتنوّع ألفاظها وتعدّد معانيها وانسجام تراكيبيها؛ فهي أكثر لغات العالم اشتقاقاً وأحسنها اتّساقاً وأوفاهها نطقاً؛ هذه الخصائص والمميّزات؛ جعلتها مصدر إلهام الشعراء والأدباء والباحثين - عرب وعجم - قديماً وحديثاً؛ وكيف لا وهي التي حباها الله بكلامه؛ وتفنّن في استعمالها أساطين العربيّة وفحولها شعرا ونثرا؛ وكان محمّد البشير الإبراهيمي أحد أعلامها في العصر الحديث؛ يحبّ الصّنع اللّفظية ويُعنى باختيار الألفاظ؛ وتزيين العبارة بألوان البيان والبديع؛ معتمداً على كثرة الاقتباس والتّضمين؛ من القرآن الكريم والحديث الشّريف والشّعر والقول المأثور..؛ وكان لتكوينه التّعليمي الأثر في ميوله إلى لغة الضّاد موروث الآباء والأجداد؛ فأحسن توظيفها وتفنّن في استعمالها إذ تفتّت قريحته بها في كلّ ما كتب من مقالات وخطب.

الكلمات المفتاحية: الخطبة الأولى، أدب الإبراهيمي، التصوير البلاغي.

**Abstract:**

The Arabic language is considered one of the most vivid languages with a rich variation of its terms and meanings, and the harmonization of its compositions. It is the most derivative, the most coherent and the fullest pronounced language. These characteristics made it a source of inspiration to a lot of poets, writers and researchers- Arabs and non Arabs- in the past and now.

How not so when it is the language of God; and it used perfectly by the lords of Arabs and the best among them in prose and poetry. Al-Bashir Al-Ibrahimi was one of its fathers in the modern era. He loves its terms composition . He cares about choosing terms and sophisticating the phrase .Using Quran, Hadith and adage. His educational formation had been impacted by his leaning Arabic, the ancestral inheritance. He perfected its employment and its use in all of his articles and speeches.

**Keywords:** the first sermon, literature of Al-Ibrahimi, rhetorical representation.

#### مقدمة:

اللغة العربية التي حباها الله بكلامه؛ تُعدُّ من أهم اللغات الحيّة؛ التي تزخر بتنوّع الألفاظ والمعاني والتراكيب؛ فهي أكثر لغات العالم تصريفاً واشتقاقاً وأحسنها انسجاماً واتساقاً وأوفاهما نطقاً.

لقد تفتّن في استعمالها أساطين العربية وفحولها شعرا ونثرا وكان محمد البشير الإبراهيمي أحد أعلامها في العصر الحديث؛ يحبّ الصنعة اللفظية؛ ويُعنى باختيار الألفاظ؛ وتزيين العبارة بألوان البيان والبدیع معتمداً على كثرة الاقتباس والتّضمين؛ من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والقول المأثور؛ وكان لتكوينه التعليمي الأثر في ميوله إلى لغة الضّاد؛ "لقد كانت ثقافته العربية العميقة، وحفظه الوفور للمقامات والخطب والأشعار وشوارد الأمثال ونوادر اللغة أهلته لهذه المنزلة؛ وجعلت منه خير ممثّل لهذه المدرسة في الجزائر"<sup>(1)</sup>؛ فهو بحقّ ينتمي إلى المدرسة المحافظة على التراث العربي الأصيل؛ أصالة لغته؛ موروث الآباء والأجداد.

فالإبراهيمي الفصيح والإبراهيمي الحصيف؛ إذا نطق أستمع له؛ وإذا تكلم أنصت لكلامه السلس؛ المرصّع بالسجع والجناس والطّباق والمقابلة...؛ يستهوي كلّ سامع لكلامه أو قارئ لكتابات؛ وهو ما أكّده الكثير ممّن عايشوا الرجل قبل الثورة وبعدها؛ كما أنصفه اللاحقون ممّن قرؤوا له إرثه الأدبي الموسوم بـ: "آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي" الذي تولّى جمعه نجله (أحمد طالب الإبراهيمي)<sup>(2)</sup> في خمسة أجزاء.

من خلال تصفّحنا لبعض كتابات الإبراهيمي؛ وبخاصة خطبته الأولى التي ألقاها بجامع كتشاوة بالعاصمة بعد الاستقلال (يوم 02 نوفمبر 1962)؛ نجده يكثر من استعمال المترادف الأفضح والبديع الأملح من أجل إيصال الفكرة والمعنى بأسلوب رصين وجميل؛ وهذا ما يُستشفّ في جلّ كتاباته؛ حيث نجد فيها "جزالة الألفاظ وقوّتها، وتناسق العبارات وتجانسها وتآلفها، وكرم المعاني وعلوّها وتآلفها، وأصالة اللّغة وفصاحتها وفخامتها"<sup>(3)</sup>.

ونحاول في هذا المقال تسليط الضوء على التصوير البلاغي والتشكيل الإبداعي الذي طبع أدب العلامة محمّد البشير الإبراهيمي؛ من خلال إبراز أهمّ المحسّنات البديعيّة التي تجلّت في خطبته الأولى وبعض مقالاته الأخرى؛ وهذا على سبيل المثال لا الحصر؛ ونبدأ بالחסّن البديعي الآتي:

#### أولا/ السّجع:

أُستعمل السّجع بكلّ أنواعه في الأدب العربي شعره ونثره؛ منذ العصر الجاهلي إلى اليوم؛ كما كان يُستخدم في الدعاء وأقوال الكهّان والخطب الوعظيّة والصلوات والأمثال والحكم والرّسائل والمقامات والتّراجم...، وأيضا كان يظهر في عناوين الكتب ومقدمات الأعمال الأدبيّة؛ من بينها أذكر: كتاب (الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي؛ (وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) لابن هشام الأنصاري؛ وكتاب التفسير الموسوم (بروح المعاني والسبع المثاني) للألوسي؛ (وتحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال) لمحمّد بن العباس التلمساني؛ ومقدّمة ابن خلدون الموسومة: ب- (كتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر، في أيّام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر) وغيرها كثير.

ولأنّ الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر؛ كما قيل؛ فإنّنا نجد العلامة محمّد البشير الإبراهيمي قد استعمل هذا اللون البلاغي من علم البديع؛ وأحسن استعماله بشكل يبعث على الاستحسان؛ لأنّ السّجع الذي التزمه الشيخ الإبراهيمي في كتاباته لم يقلّل في شيء من رونقها وجمالها، بل زادها انسجاما وتأساقا وزخرفا وبهاء؛ لأنّ "السّجع إذا جاء في

الكتابة الفنيّة العالية عفواً، يكون تحليّة للكلام، وزينة للأدب"<sup>(4)</sup>؛ كما نجد - الإبراهيمي - قد وظّف أنواع السّجع المختلفة على غرار:

## 1- السّجع المطرّف:

هو الذي "تتفق فيه الفاصلتان أو الفواصل في الرّوي، وتختلف في الوزن"<sup>(5)</sup> ومن أمثله ما جاء في بداية خطبته الأولى في قوله: "تعالّت أسماءُه وتمّت كلماته صدقا وعدلا"<sup>(6)</sup>؛ وفي قوله أيضا: "ونحبي بالعمار والثمار والغيث المدرار..<sup>(7)</sup>" حيث نلاحظ اختلاف الكلمتين (أسماءُه) و(كلماته) في الوزن واتفاقهما في الرّوي؛ وكذلك بين الكلمتين (العمار) و(المدرار) اتفاقهما في الرّوي واختلافهما في الوزن؛ ممّا جعلها خفيفة على اللسان؛ عذبة على الأسماع.

## 2- السّجع المتوازي:

هو الذي "تتفق فيه اللفظة الأخيرة من الفاصلة مع نظيرتها في الوزن والرّوي"<sup>(8)</sup>؛ مثلما نجد في أوّل خطبة له؛ في قوله: "صفاء سرائرهم وطهارة ضمائرهم"<sup>(9)</sup> فنلاحظ أنّه أورد (سرائرهم) و(ضمائرهم) كي يتوافقا في الوزن وحرف الرّوي وهو (الميم) فأضفى على العبارة جرسا موسيقيا خاصا.

- وفي قوله أيضا: "يا أتباع محمد عليه السلام؛ هذا هو اليوم الأزهر الأنور"<sup>(10)</sup>؛ حيث نلاحظ أنّه أورد (الأزهر) و(الأنور) كي يتوافقا في الوزن وحرف الرّوي وهو (الراء) فأضفى على العبارة موسيقى تراتبية خاصّة.

- كما يظهر هذا النوع في عباراته الآتية: "أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين"<sup>(11)</sup>؛ نلاحظ أن الوزن والرّوي في الفاصلة الأخيرة متفقتان فرادا العبارة جرسا موسيقيا خاصا.

- كما نجد هذا النوع من السّجع في مقال له في عيون البصائر(ص201): قوله: "اللّهمّ باسمك نبتي، وبهديك نحتدي"<sup>(12)</sup>، فنلاحظ أنّه وظّف فعلا مهموزا (نبتي)، ولكي يتوافق مع الفعل الثاني(نحتدي) في الرّوي وهو حرف(الدال)، قام بإبدال المهمزة ياء فصار(نبتي)، مع العلم أنّ وزنهما (نفتعل) فأضفى على العبارة نسقا موسيقيا خاصا.

## ثانيا/ الجنس:

هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى؛ وله دور خاص في إضفاء العبارة رونقا، ولإيقاع طربا، إذ: "لاشك أن التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات؛ تماثلا كاملا أو ناقصا تطرب له الأذن، وتحتز له أوتار القلوب، والمجنس يقصد اختلاب الأذهان، وخداع الأفكار، حيث يوهم أنه يعرض على السامع معنى مكررا أو لفظا مرددا لا يجني منه السامع غير التطويل والسآمة فإذا هو يروع ويعجب، ويأتي بمعنى مستحدث يغير ما سبقه كل المغايرة، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة"<sup>(13)</sup>.

لقد مزج الإبراهيمي في هذا اللون البديعي بين نوعيه؛ التام والتأقص، ليدعم المعنى الذي يرتبط بسياق الكلام؛ وهذا ما يؤكد على رصيده اللغوي الزخم المتراكم، المتأثر بكلام العرب (كما أشرنا سلفا)؛ فهو كما قيل فيه: "جاء عصره وبديع زمانه، مما جعله بحق معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية في القرن العشرين"<sup>(14)</sup>.

## 1- الجنس التام: وقد تمثل في الخطبة الأولى للبشير الإبراهيمي؛ في قوله:

- "تجلى على بعض عباده بالغضب والسخط... وتجلي برحمته ورضاه على آخرين"<sup>(15)</sup> فلنحظ كلمة (تجلى) الأولى تعني إظهار الغضب والسخط؛ أما الثانية فتعني إظهار الرضى والرحمة؛ وبما أن الكلمتين من جنس واحد (فعل) فالجناس تام ومماثل.

- وفي قوله: "بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد وعاد التوحيد إليه فالتقيتم جميعا على قدر"<sup>(16)</sup>؛ فلفظة (التوحيد) الأولى يقصد بها المسجد وهو مجمع الناس إلى الصلاة؛ وأما الثانية فتعني دين الإسلام الداعي إلى توحيد الله؛ وأما الثالثة فتعني الصلاة وعودتها إليه (بيت الله) بعدما كان كنيسة للتثليث.

- ومثال هذا النوع نجده أيضا في قوله:

"لأن وراء الجميع رقبيا عتيدا من الدين، وأمام الكل حسابا شديدا يوم الدين"<sup>(17)</sup>؛ فكلمة (الدين) الأولى تعني الملة والشريعة؛ أما الثانية فتعني يوم القيامة؛ وبما أن الكلمتين اسمان فالجناس تام ومماثل.

- وفي مثال آخر، يطالب بإصلاح القضاء بانتقاء القضاة ذوي الكفاءة والأمانة والنزاهة وإقصاء المفسدين منهم؛ فيقول: "حقيقة ... إنّ بعض القضاة أعوان للقضاء على القضاء"<sup>(18)</sup>؛ فجاءت لفظة (القضاء) الأولى بمعنى الحو، والثانية تعني الهيئة الشرعية للفصل بين المتخاصمين؛ والملاحظ أنّ كلا اللفظتين اسم؛ فالجناس هنا تامّ ومماثل.
- ونجد التّام أيضا في قوله: "فئة تدرس في جامعة، وملايين ترسف في جامعة"<sup>(19)</sup>؛ ولفظة (جامعة) الأولى تعني المعهد العالي، والثانية هي القيد الذي يجمع اليدين والرّجلين؛ والجناس تامّ ومماثل لأنّ اللفظتين اسم.

#### 4- الجنس الناقص:

- جاء في تعريفه: "هو أن تختلف الكلمتان في أنواع الحروف، أو عددها، أو حركاتها أو ترتيبها، وهو أنواع منها: محرّف، ومصحّف، ولاحق، ومضارع، ومذيل، ومطرّف، وجناس قلب"<sup>(20)</sup>؛ وقد ورد في كتابات الإبراهيمي كثيرا بسبب الألفاظ المتشابهة في اللغة العربية ومن هذه الأنواع أذكر:

#### • الجنس المضارع:

- وتمثّل في الخطبة الأولى في قوله: "مَن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم"<sup>(21)</sup>؛ والجناس هنا مضارع لأنّ كلمتي (التعذيب) و(التخريب) مختلفتان في حرفي (العين) و(الخاء) المتقاربين في المخرج إذ ينتميان إلى مجموعة الحروف الحلقية.
- وأيضا في قوله: "ونحیی بالعمار والثمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية"<sup>(22)</sup>؛ والجناس هنا مضارع لأنّ كلمتي (العمار) و(الثمار) مختلفتان في حرفي (العين) و(الثاء) المتقاربين في المخرج؛ إذ ينتمي الأول إلى مجموعة الحروف الحلقية والثاني ينتمي إلى الحروف اللثوية.
- وفي قوله: "أرض الإسلام التي نسّمیها الجزائر، والتي فيها نبتنا وعلى حبّها ثبتنا، ومن نباها غدّينا وفي سبيلها أودينا"<sup>(23)</sup>؛ والجناس هنا مضارع فكلمتي (نبتنا) و(ثبتنا) مختلفتان في حرفي (النون) و(الثاء) المتقاربين في المخرج؛ إذ ينتميان إلى مجموعة الحروف اللهوية. والشيء نفسه يلاحظ في الكلمتين (غُدّينا) و(أودينا) فالجناس هنا مضارع لأنّ الكلمتين

السابقتين مختلفتان في حربي (الغين) و(الهمزة) المتقاربتين في المخرج إذ ينتميان إلى مجموعة الحروف الحلقية.

- وفي قوله أيضا: "ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كل داع يدعو إلى الفرقة والخلاف وكل ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق"<sup>(24)</sup> الجناس مضارع لأن كلمتي (التفريق) و(التمزيق) مختلفتان في حربي (الفاء) و(الميم) المتقاربتين في المخرج؛ إذ ينتميان إلى مجموعة الحروف الشفوية.

- وكذلك نجد هذا النوع في قوله: "عفوا من غير تعب..؛ إلى الحق من دون نصب"<sup>(25)</sup> والجناس هنا مضارع أيضا.

#### ● الجناس المحرف:

ومن أمثله ما جاء في رثاء الإبراهيمي لأعزّ أصدقائه؛ الشيخ عبد الحميد بن باديس المتوفى في (16 أبريل 1940)؛ إذ يقول: "إنَّ بُعْدَكَ أتعَبَ مَنْ بُعْدَكَ"<sup>(26)</sup>؛ حيث إنَّ كلمتي (بُعْدَكَ) و(بُعْدَكَ) تتفقان في عدد الحروف وترتيبها مع اختلافهما في حركة حرف الباء حيث تدلّ كلمة البُعد عن معنى الفراق، وكلمة بَعْدَكَ عن مرحلة غياب ابن باديس عن أحبائه وأصدقائه؛ الذين سيواصلون الدرب وسيعانون سدّ الفراغ الذي خلفه هذا الفراق.

#### ● الجناس المصحف:

ومن أمثله، ما جاء في معرض استنكار الإبراهيمي لتقرير المفتي العميل للاستعمار الماليء بالكذب والافتراء، ولكي يثبت موضعيته، يقول البشير الإبراهيمي: "وأعدنا قراءته استجلاء أو استحلاء"<sup>(27)</sup>.

نلاحظ هنا أنّ اللفظتين (استحلاء) و(استحلاء)؛ فالأولى بمعنى الكشف والاستكشاف أمّا الثانية فبمعنى اعتبار الشيء حلو المذاق، وقد اتفقتا في عدد الحروف وترتيبها، واختلفتا في نقطة حرف الجيم؛ ويدلّ توظيفهما عن رصيد الإبراهيمي اللغوي، وحسّه الجمالي المرهف. هذا المحسن البديعي وبمختلف أنواعه؛ إنّما وظّفه الإبراهيمي بقوة في جلّ خطبه ورسائله ليدعم المعنى الذي يرتبط بسياق كلامه؛ ولإضفاء العبارة رونقا، ولإيقاع طربا؛ وليبعد الملل والروتين لدى القارئ (كما أشرنا سلفا).

## ثالثا/ الطّباّق:

يُعَدُّ الطّباّق فنّا بلاغيّا ومَحسّنًا بديعيّا؛ اهتمّ به البلاغيّون قديما وحديثا، وقد ورد في كلام الله عزّ وجلّ، وحديث رسوله (ﷺ) وشعر العرب ونثرهم؛ ما يدلّ على قيمة هذا المحسّن البديعيّ في كلام العرب؛ وقد اهتمّ الإبراهيمي كثيرا بالطّباّق وبنوعيه (الإيجاب والسلب) كونه يسهم في توضيح الفكرة وتعزيزها بإعطاء الأضداد؛ فالأشياء بأضدادها تُعرف.

## 1- طباّق الإيجاب:

ومن أقوال الإبراهيمي التي تتلّ فيها هذا المحسّن البديعي، نختار الآتي (مقتطفات من الخطبة الأولى)<sup>(28)</sup>:

- سبحانه وتعالى جعل السيف فرقانا بين الحقّ والباطل؛
- حيث يبتليهم فيعلم المصلح من المفسد؛
- فأخرج القوة من الضعف وولّد الحرية من العبودية وجعل الموت طريقا إلى الحياة؛
- وما ظلم الأولين ولا حابي الآخرين؛
- ولكنّها سنّته في الكون وآياته في الآفاق؛ يتبعها قوم فيفلحون ويعرض عنها قوم فيخسرون؛

نستشفّ من هذه الأمثلة أنّ نوع الطباّق الذي استعمله الشيخ الإبراهيمي هو طباّق مجازي؛ لأنّ هذا النوع من المجاز أبلغ وأشمل، وقد أحسن توظيفه بشكل جليّ وقويّ؛ وهذا ما يتّضح عندما نعي بأنّ القوّة مُنطلقها الضّعف؛ والحرية منشأها العبودية والموت طريق إلى الحياة؛ والابتلاء تمحيص للمصالح وتمييز للطالح.

- كما نجد هذا النوع من الطّباّق أيضا؛ في معرض شرحه لأساليب الاحتلال في العبث بمقوّمات الشّعب الجزائري؛ الذي لم يحترم أحكام الشريعة الإسلامية؛ يقول الإبراهيمي: "وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل"<sup>(29)</sup>؛ ففي العبارة طباّقان هما (الإيمان ≠ الإلحاد) و(الفضائل ≠ الرذائل)، وهما من الطباّق المجازي؛ لأنّ المحاربة الحقيقيّة والفعليّة تكون بين الأشخاص وبوسائل ماديّة محسوسة وملموسة، ولعلّ استعماله الطباّق المجازي في

هذا المقام أبلغ وأشدّ، إذ يتصوّر للقارئ عِظم الخطب بشكل أوضح وأدقّ عندما تكون الحرب بين صفّ الإيمان (الشعب الجزائري) وصفّ الكفر (المحتلّ الغاشم).

أمّا ما يعرف بالطباق الحقيقي؛ فقد ظهر في عدّة أقواله أيضاً؛ منها<sup>(30)</sup>:

- نصرَ عبده وأعزّ جنده، وهزَمَ الأحزاب وحده؛ فالطباق حقيقيّ بين الكلمتين (نصر) و(هزم).

- جعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطاً بالإيمان والصبر؛ فالطباق حقيقيّ بين (القليلة) و(الكثيرة).

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشّيخ الإبراهيمي قد مثّل لأنواع الطّباق المختلفة في المقال الواحد، وذلك لتسليّة القارئ وإبعاد الروتين والملل عنه.

## 2- طباق السّلب:

من أمثلة هذا النوع، نجد على سبيل المثال لا الحصر؛ ما جاء في سياق مدّحه الدّين الإسلامي، واصفاً إيّاه بالشّمولية (يشمل الدنيا والآخرة)؛ إذ تعرّض إلى الأحكام التّشريعيّة التي تخصّ كل مجالات الحياة، يقول الإبراهيمي: "وبنى أصولها على الفطرة وما تحتل وما لا تحتل"<sup>(31)</sup>؛ ويظهر طباق السّلب بين كلمتي (تحتل) و(لا تحتل)، وهو مجازيّ أيضاً؛ ومثّل ذلك ما جاء في كلامه عن جهود الحكومة الفرنسيّة؛ في تقصّي كلّ شاردة وواردة يكتبها أعضاء الجمعية، في قوله: "وتحمل الكلام من المقاصد وحظّها ما يطبق وما لا يطبق..."<sup>(32)</sup> وقد طابق بين (يطبق) و (لا يطبق) ويبدو أنّ الإبراهيمي لجأ في تعبيره هذا باستعمال طباق السّلب؛ بتكرار الفعل نفسه من أجل التّوكيد.

وفي مثال آخر، ينصح الأئمّة غير المخلصين في عملهم؛ الذين يمارسون الإمامة من أجل المرتّب لا غير، قائلاً: "كلّ هذا ونحن لا نريد لهم قطع المرتّب، وإنّما نريد لهم تثبيتته واستحقاقه بشرف"<sup>(33)</sup>؛ فطابق بين (لا نريد) و(نريد) وهذا طباق حقيقيّ؛ أوردته لتوكيد الفعل وإيضاحه.

ونجد مثل هذه الأنواع من الطباق الحقيقي في الكثير من المقالات منها: "فنحن لا نسكت حتى تنصف، وهي لا ترضى حتى نسكت"<sup>(34)</sup>؛ فطابق بين (لا نسكت) و(نسكت) لتوكيد الفعل أيضا.

وفي قوله أيضا: "الاستعمار... قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم؛ ولم يخرج من قلوب بعضكم"<sup>(35)</sup>؛ فطابق بين (خرج) و (لم يخرج) وكرّر ذلك ثلاث مرّات؛ لتوكيد الفعل وترسيخه.

#### رابعا/ المقابلة:

إنّ المقابلة بعناصرها المتضادة لا توظّف لتحسين الأسلوب فقط، بل هي قطعة فنيّة لا يستغني الكاتب - الممكن - عنها للتعبير عن المعاني؛ التي لا يستطيع إيصالها دون إيراد الكلمات وأضدادها.

ومن أجمل المقابلات التي وردت في القرآن الكريم، لتعدّد الألفاظ المتضادة فيها؛ قول الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّرَّ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَرَّهَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾<sup>(36)</sup>؛ نستشفّ من الآيات؛ أنّ المقابلة شملت أربعة ألفاظ وهي (أعطى وبخل، اتقى واستغنى، صدّق وكذّب، اليسرى والعسرى)؛ وقد جاءت بأسلوب بديع؛ شكّل موسيقى فريدة من نوعها.

أما البشير الإبراهيمي فقد وظّف المقابلة بكمّ أقلّ من السجع والجناس والطباق، على اعتبار المقابلة تتكوّن من طباق متعدّد؛ يرد في العبارة الواحدة، ويتطلّب الترتيب والتتالي يراعى في ذلك المعنى قبل المبنى، وهذا ليس بالسهل على كلّ أديب أو خطيب.

نجد الإبراهيمي قد وظّف المقابلة لتأكيد المعنى وتوضيحه، مثلما ورد في سياق تقديمه معاني الحكمة من الصّيام حيث يقول: "يحرك النّفوس إلى الخير، ويسكنّها عن الشر"<sup>(37)</sup> والمقابلة هنا بين (يحرك ويسكن)، و(الخير والشر) وجاءت لتقويّة معاني الصّوم التي هي فعل الخيرات وترك الشهوات (شهوة البطن والفرج).

## خاتمة:

إنّ ما تمّ رصده في هذا المقال حول التّصوير البلاغي؛ والتشكيل الإبداعي في أدب الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي؛ ما هو إلّا غيض من فيض؛ لأنّ قدرته الفائقة على جودة التّصوير الفنّي المتنوّع؛ جعلت حلّ كتاباته تعجّ بالمحسنات البديعية المختلفة؛ التي تزيد عباراته رونقا وبهاء؛ وتُضفي على أسلوبه حسنا وعذوبة؛ وتُعطي أفكاره وُضوحا ودقّة وتُسرح بذهن القارئ بُنّة ويُسرة؛ تارة سجعا وتارة جناسا؛ ومرة طباقا وأخرى مقابلة.

حقّا إنّ الشيخ - رحمه الله - فارس البديع وأمير البيان؛ كيف لا وهو العالم المتمرّس في علوم العربيّة وفنونها؛ الخبير بأسرارها، الفقيه في آدابها؛ إنّه قامة من قامات الجزائر الدينيّة والسياسيّة والعلمية والأدبيّة؛ عاش رجلا ومات رجلا؛ والرجال يمشون ويبقى التّهج والأثر.

## الإحالات والهوامش

(1) - عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ 1983 ص199.

(2) - أحمد طالب الإبراهيمي؛ هو نجل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ (من مواليد جانفي 1932) متحصّل على شهادة جامعية في الطب؛ شغل منصب وزير (سابقا)؛ ويُعدّ أحد أبرز رجالات السياسة الجزائريين.

(3) - عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة؛ 2009؛ ص71.

(4) - أبو العباس الشريشي، شرح مقامات الحريري، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ج9، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان؛ 1992، ص36.

(5) - محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة: علم البديع، دار العلوم العربيّة، بيروت؛ لبنان 1991، ص129.

(6) - ينظر: الإبراهيمي؛ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ مطبعة دار الغرب الإسلامي؛ بيروت ط1/1997؛ الجزء 5؛ ص 305 وما بعدها (مقتطفات من الخطبة الأولى؛ جامع كشاوة).

(7) - المصدر نفسه؛ ص305.

(8) - محمود أحمد حسن المراغي، في البلاغة: علم البديع، ص130.

- (9) - ينظر: الإبراهيمي؛ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ الجزء 5؛ ص305.
- (10) - ينظر؛ المصدر نفسه؛ ص306.
- (11) - ينظر: المصدر نفسه والصفحة.
- (12) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص210.
- (13) - عائشة حسين فريد، رشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص186.
- (14) - عبد الرحمن شيبان، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، مجلة الثقافة، دار الأئمة، 1985؛ العدد 87؛ ص73.
- (15) - ينظر: الإبراهيمي؛ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ الجزء 5؛ ص305.
- (16) - ينظر؛ المصدر نفسه؛ ص305.
- (17) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص75.
- (18) - المصدر نفسه؛ ص129.
- (19) - المصدر نفسه؛ ص249.
- (20) - ينظر: بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: علم البديع، دار العلم للملايين بيروت؛ لبنان؛ ط1/2003. ص139.
- (21) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ الجزء 5؛ ص306.
- (22) - المصدر نفسه؛ ص306.
- (23) - المصدر نفسه والصفحة.
- (24) - المصدر نفسه والصفحة.
- (25) - المصدر نفسه؛ ص307.
- (26) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص299.
- (27) - المصدر نفسه؛ ص71.
- (28) - ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ الجزء 5؛ ص305 وما بعدها (مقتطفات من الخطبة الأولى؛ جامع كتشاة).
- (29) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص79.
- (30) - ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي؛ الجزء 5؛ ص305؛ 306.

- (31) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 267.
- (32) - المصدر نفسه، ص 158.
- (33) - المصدر نفسه والصفحة.
- (34) - المصدر نفسه، ص 179.
- (35) - ينظر: الإبراهيمي؛ الآثار، ص 307.
- (36) - سورة الليل؛ الآيات: [1 إلى 10].
- (37) - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر؛ ص 573.